الدكتور محمد عجاج الخطيب

أبو هريرة

راوية الإسلام

يطلب من
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
تليفون ٩٣٧٤٧٠

الطبعـــة الثالثة

شعبان سنة ١٤٠٢ هـ — يونيه سنة ١٩٨٢ م

جميع الحقـــوق محفوظـة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثالثة

الحمد لله حمداً كثيراً يوافى نعمه ، ويكافىء مزيده ، حمداً كما ينبغى لجلال وجهه وعظيم سلطانه ، الذى بنعمته تتم الصالحات ، وتعم الخيرات ، سبحانك ربى لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، خير من اصطفى من خلقه ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد .. فهذه هى الطبعة الثالثة لكتاب « أبو هريرة .. راوية الإسلام » أقدمها إلى أعزائى قراء العربية من العلماء والباحثين والطلاب والعاملين فى رحاب العلم عامة ، وميدان السنة خاصة . وكنت قد أقدمت على الكتابة فى الصحابى الجليل أبى هريرة رضى الله عنه إثر الحملة المغرضة التى أثارها حوله وحول مروياته بعض أهل الأهواء ، وبعض المغرضين من أعداء الإسلام ، الذين قلبوا الحق باطلا والصدق كذباً ، ولم أخض لجج هذا الخضم إلا إنصافاً لهذا الصحابى ، ودفاعاً عن السنة ، وانتصاراً للحق ، وما أن ظهرت تلك الطبعة فى القاهرة — حماها الله وسائر بلاد الإسلام — سنة ١٣٨٣ هـ — ١٩٦٣ م حتى تداول القراء الكتاب ، وعم انتشاره بين أهل العلم وطلابه ، فى مصر وخارجها من بلاد العرب والمسلمين ، ونفدت تلك الطبعة بعد فترة قصيرة ، ثم أعاد بعض الأفاضل طبعه ثانية فى لبنان سداً لحاجة القراء ، ولم أتمكن آنذاك من زيادة ما عندى على الطبعة الأولى ، لكثرة واجباتى ، ونفدت الطبعة الثانية ، وكثر طلب الكتاب ، فكان لزاماً على أن أسد حاجة القراء بإعادة طبعه ، بعد أن أضفت عليه

في بعض أبحاثه ما رأيته هاماً ومتمماً للفائدة . سائلا الله عز وجل أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه، وأن يحقق الغاية الموجوة من هذا الكتاب، وينفع به ، إنه خير مسئول ، وبالإجابة جدير ، وهو ولي التوفيق والسداد .

مدينة العين ١٣ ربيع الأول سنة ١٤٠٢ هـ

٩ ينـــاير سنة ١٩٨٢ م

محمد عجاج الخطيب
الحســـني الدمشقي

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وأصحابه ، الذين اتبعوه ، فوفقوا أعظم التوفيق فى حفظ الرسالة ، وأداء الأمانة ، ونشر الدعوة ، التى خلصت العرب من قيود الوثنية ، ومدتهم بقوة الإيمان ، وحملتهم مسئولية هداية العالم ، فما أن فتح العرب الأوائل عيونهم على نور الإسلام ، وفهموا القرآن ، وأبصروا طريق الحق بعد الضلال ، وسعدوا بالمعرفة بعد الجهل — حتى انطلقوا يحملون لواء الحرية ، ومشعل النور والعرفان ، يضيئون للإنسانية سبيلها ، ويوجهون نحو المجد والعزة ركبها ، وينقلون العالم إلى السعادة والخير ، فكانوا بحق خير أمة أخرجت للناس ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويؤمنون بالله .

وبعد.. فإنه لم يرق لأعداء الإسلام أن يروا هذا الدين ، قد صلب عوده ، واستوى ساقه ، وأثمرت أزهاره ، وأينعت ثماره ، مما حال بينهم وبين استغلال المسلمين ، واستنزاف خيرات بلادهم ، وقضى على مصالحهم الاستغلالية ، ولم تعد تجدهم وسائل القوة لتحقيق مآربهم والوصول إلى غاياتهم ، فرأوا أن يدسوا السم فى عقائد المسلمين ، ليسلخوهم عنها ، فعملوا على تغيير وجه الإسلام وتشويهه بمختلف طرق الدعاية الجذابة ، وافتنوا فى وسائل التبشير المغرية ، فشككوا بعض ضعاف القلوب — ممن يحسبون على الإسلام — فى تعاليمه وأحكامه ، وكان من الصعب عليهم أن يعبثوا بالقرآن الكريم الأصل التشريعى الأول ، عليهم فحاولوا أن يطرقوا باب السنة ، فاتهموا كبار نقلتها ، وأئمة حفاظها ، لإضعاف جانب عظيم من الحديث النبوى ، قاصدين من وراء هذا تشكيك المسلمين

فى السنة الطاهرة ، ليطرحوها — وهى المفسرة والمبينة للقرآن الكريم — فتبعد الشقة بين المسلمين وفهم قرآنهم ، ويبدو القرآن غريباً عنهم مع مر الزمن ، وبهذا يتم لأعداء الإسلام ما يريدون .

وقد شاعت هذه الأفكار فى أبحاث بعض المستشرقين ، وحملها عنهم بعض من ينسب إلى أهل العلم ، وروجها أشياعهم من أهل الأهواء .

ولكنا نعلم وجميع المنصفين يعلمون أن السنة انتقلت إلينا جيلا بعد جيل ، على أسلم طرق التثبت العلمى ، فقد بذل العلماء قصارى جهودهم فى سبيل الحفاظ على السنة ، فرحلوا فى طلب الحديث ، وتحملوا مشاق السفر ، وتركوا الأهل والأوطان ، وحفظوا الأحاديث بأسانيدها ، وذكروا طرق كل حديث ، وبينوا نقلته عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومازوا الضعيف من الصحيح ، ونقدوا الرواة ، نقداً علمياً دقيقاً ، ولم يقبلوا الحديث إلا عن الثقات .

وقد أجمعت الأمة على عدالة الصحابة ، الذين سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتخرجوا فى حلقاته ، وبذلوا النفس والنفيس فى سبيل الدعوة إلى الله ، وإرساء قواعد الإسلام وحفظ الشريعة الحنيفة .

وكان الصحابى الجليل أبو هريرة أحد كبار الصحابة الذين رووا عن الرسول الأمين — عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم — الكثير الطيب ، وروى عنه كثير من التابعين ، فكان أكثر صحابى روى عنه الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لذلك وجه إليه أعداء الإسلام ، وبعض أهل الأهواء سهام طعونهم فأعلنوها عليه حرباً شعواء لا هوادة فيها ، وتحاملوا عليه ، واتهموه فى بعض ما روى عنه ، واستهزأوا ببعض مروياته ، حتى أن بعضهم جعله فى مصاف الوضاعين والكذابين ، وفى زمرة أهل الجحيم .

وقد هالنى أن أجد راوية الإسلام تلوكه الألسن المغرضة ، وتتناوله أقلام الباطل ، فرأيت من واجبى كمسلم أولا ، وكمشتغل فى السنة وعلومها

ثانياً ، أن أكشف عن الحقيقة مهما تكن نتائجها ، غير منحاز ولا متحامل ، قاصداً فى هذا وجه الله العلى القدير ، لأنصف راوية الإسلام أبا هريرة ، وأضع الحق فى نصابه ، فأقدمت على هذا البحث ، تحف به الصعاب من كل جانب ، وتناولت أمهات المراجع : المخطوط منها والمطبوع ، فإذا بصورة أبى هريرةتبدوواضحة صافية ، لا شِـيَة فيها ، تشرق بماض مجيد ، وبروح سامية وبنفس طيبة لتكوّن شخصيته العلمية القوية ، فيتجلى بطلان تلك الطعون التى وجهت إليه من خلال نظرات خاصة ، أو أهواء متبعة ، أو غايات هدامة ، وتتضح مخالفتها للواقع التاريخى ، وللحقيقة العلمية ، لهذا رأيت أن أستكمل دراسة أبى هريرة بتفنيد تلك الشبهات التى أثيرت حوله على ضوء دراستى إياه ، ولما كان الطعن فى أبى هريرة ذريعة للطعن فى غيره من الصحابة الكرام — رضوان الله عليهم أجمعين — لتوهين السنة ورفض العمل بها رأيت من الواجب أن أمهد للبحث بما يقتضيه فكان الموضوع فى تمهيد وبابين :

التمهيـــــد :

تناولت فيه العرب ورسالة الإسلام ، ثم تكلمت عن السنة والمقصود بها لغة وشرعاً ، ثم بينت مكانة السنة من القرآن الكريم ، وتمسك الأمة بها والمحافظة عليها ، والعمل بها ، ثم بينت منزلة الصحابة وعدالتهم . وبعد ذلك تكلمت عن حفظ السنة وصيانتها وانتشارها ، وأهم ما صنف فيها . لأن فى هذا ما يرحض عن السنة الطاهرة أدران أعدائها .

الباب الأول : وفيه فصلان :

الفصل الأول : تناولت فيه حياة أبى هريرة فى مختلف مظاهرها ، الخاصة والعامـــة .

الفصل الثانى : حياة أبى هريرة العلمية ، بينت فيه نشاط أبى هريرة العلمى ، وطرق تحمله الحديث ونشره السنة ، ومنزلته العلمية ، ورأى العلماء فيه .

الباب الثاني : عرضت فيه ما أثاره بعض أهل الأهواء ، وبعض الكاتبين والمستشرقين من طعون حوله ، وناقشتها وبينت وجه الحق فيها .

وإني أرجو الله أن أكون قد وفقت بهذه الطريقة ، لعرض الموضوع بشكل يحقق الغاية منه . وأخيراً لابد لى من أن أتوجه بشكرى العميق إلى أستاذى الجليل فضيلة الشيخ على حسب الله ، أستاذ الشريعة الإسلامية والدراسات العليا فى كلية دار العلوم بجامعة القاهرة ، فقد تفضل على بقراءته هذا البحث ، قراءة دقيقة فأفدت من ملاحظاته ، مما شجعنى على التفكير فى طبعه ونشره ، دفاعاً عن السنة الطاهرة ، وعن رواتها الأمناء ؛ فجزاه الله خير الجـــزاء .

وختاماً .. أرجو كل من يطلع على هذا الكتاب ، فيجد فيه ما يحتاج إلى تعديل أو تبديل ، أن يفيدنى بما عنده . .

والله الموفـــق إلى الصـــــواب .

محمد عجاج الخطيب

القاهرة ١٠ رمضان سنة ١٣٨١ هـ

١٥ فبراير سنة ١٩٦٢ م

* * *

تمهيد

- العرب ورسالة الاسلام
- حول السنة
- السنة ومكانتها من القرآن الكريم
- عدالة الصحابة
- حفظ السنة وانتشارها

العرب ورسالة الإسلام

منذ أربعة عشر قرناً ، بينما كان يعيش العالم كله فى ظلام فكرى ، وتأخر علمى ، وظلم اجتماعى ، أشرقت فى أرض الجزيرة العربية شمس الهداية ، وعلت فى الأفق تطارد ذاك الظلام ، تنير للعالم سبيله ، وترسم له طريق التقدم والرقى والنجاح .

تلك الشمس شمس النبوة التى حملها محمد صلى الله عليه وسلم ، إذ بعثه الله عز وجل . « **بالحق بشيراً ونذيراً** »(١) ، « **وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً** »(٢).

وشرفه بالرسالة السامية الخالدة ، إلى الناس كافة ..

« **قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً الذى له ملك السموات والأرض ، لا إله إلا هو يحيي ويميت ، فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون** »(٣) .

وقال تعالى :

« **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** »(٤) ، « **وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً** »(٥) .

وأمره أن يبلغ أحكام الإسلام وتعاليمه فقال : .

« **يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس ، إن الله لا يهدى القوم الكافرين** »(٦) .

ومن فضل الله على الأمة العربية أن بعث فيهم : « **رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين**»(٧)

---

(١) فاطر : ٢٤ .
(٢) الأحزاب : ٤٦ .
(٣) الأعراف : ١٥٨ .
(٤) الأنبياء : ١٠٧ .
(٥) سبأ : ٢٨ .
(٦) المائدة : ٦٧ .
(٧) الجمعة : ٢ .

فأمره أن يدعو أهله وعشيرته ، فقال :

« وأنذر عشيرتك الأقربين. واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين »(١)

وقال عـز من قائـل :

« وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه ، فريق فى الجنـــة وفريق فى السعير »(٢) .

أمـره أن يدعو قومه إلى سبيل الرشاد ، ليحملوا عبء تبليغ الرسالة إلى الأمم الأخرى ، فيكون لهم شرف المبلغ الهادى ، ويخلد اسمهم أبد الدهـر ، كما أراد الله للرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، وللأمة العربية التى تلقت الرسالة ، وانطلقت تحرر العالم من الظلم والطغيان ، وتوجه مركب الإنسانية إلى شاطىء السلام ، وتخرجه من الظلمات إلى النور ، سالكة سبيل الهداية والحق ، حاملة لواء التحرير . . . بعد أن تنكب الناس الصراط المستقيم ، وتخبطوا فى غياهب الجهالة والضلال .

إلا أن هداية العرب لم تكن سهلة ، بل تحمل الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام فى سبيلها المشاق الكثيرة ، وأوذى فى جسمه وماله ، وأهله وأصحابه ووطنه ، وكان يدعو ليلا ونهاراً وسراً وإعلاناً ، ويسأل الله السداد والرشاد ، متطلعاً إلى هداية قومه ليحملوا الرسالة ويؤدوا الأمانة .

لقد أوحى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقومه على دين آبائهم ، وثنية وأصنام ، يسودهم النظام القبلى ، وتربط بينهم صلة القرابة والدم ، لا يحكمهم نظام عام ، بل يخضعون للعادات والأعراف ، يدفعهم الشرف والمفاخرة بالأنساب إلى المنافسة فى المكارم والمروءات ، يعيشون فى حلقة الأسرة والقبيلة ، فى إطار الجزيرة العربية .

وكان لحياتهم تلك أثر بعيد فى صفاء نفوسهم ، ومحافظتهم على أمجادهم وعاداتهم ، وتفانيهم فى سبيل مثلهم الأعلى ، حتى كانوا يسرفون فى ذلك كله ، فهم كرام يبذلون مايستطيعون للضيف ، فيبلغون فى ذلك حد الإسراف .

---

(١) الشعراء : ٢١٤ ، ٢١٥ . (٢) الشورى : ٧ .

ويأبون العار ولو أدى بأعز ما لديهم إلى الردى ، ولهذا وأدوا بناتهم خشية الفقر والزلل . ويحبون تحقيق الأمجاد والبطولات فتغنوا بها ، ولكنهم ضلوا الطريق ، وحرموا العقيدة الموصلة إلى ذلك ، ترى العفة والكرامة من أخلاقهم ، والكرم والشجاعة من سجاياهم ، والحمية والثأر تسير فى عروقهم ، رضعوا هذا مع لبنهم ، وفطروا ونشأوا عليه ، فهم لا ينامون على ضيم ، ولا يرضون ذلا أو هواناً ، وويل لمن غضب عليه العرب ، إذ كانوا يثورون لأتفه الأسباب ، يكفى أن يستفز القبيلة فرد أهينت كرامته ، فتنطلق جميعها كباراً وصغاراً تدفع عنه ما أصابه ، لأن كرامة الفرد من كرامة القبيلة ، وإلى هذا يمكننا أن نرد أكثر الغزوات والغارات التى كانت بين القبائل قبل الإسلام .

وقد حفظت ذاكرتهم القوية أشعارهم وأنسابهم التى كانت بمثابة سجل تاريخى لهم ، وكان كل ذلك من المؤهلات التى أعدتهم لحمل الرسالة الإسلامية فيما بعد .

وإذا كان العرب قد عبدوا الأوثان آنذاك ، فإنهم لم يعبدوها على أنها هى الخالقة المدبرة لأمور الكون وشئونه ، بل رأوا فيها التقرب إلى الله :

« ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى »(١) .

ولم تكن عقائدهم معقدة مركبة ، كما كانت عليه عقائد سكان البلاد المجاورة من الفرس والهند والروم ، بل كانوا أصفياء النفوس ، ويمكننا أن نقول : إن عندهم فراغاً عقدياً — إذا صح هذا التعبير — تستره تلك العبادات والمعتقدات الأولية ، التى لم تقف على قدميها أمام عقيدة الإسلام المتماسكة الكاملة ، ولهذا كان العرب يمتازون عن غيرهم من الأمم بتلك الصفات التى أهلتهم فيما بعد لأن يكونوا رجال الإسلام ، وحملة لوائه إلى العالم .

ومع هذا لم يكن من السهل أن يستجيب العرب جميعاً إلى دعوة الرسول الكريم بادىء ذى بدء ، إذ كان من الصعب أن يتركوا دين

---

(١) الزمر : ٣ .

آباءهم وأجدادهم ، فإذا ما دعاهم إلى الله قال له أقرب الناس إليه : تباً لك ! ! أهذا دعوتنا ؟ وأوذى صلى الله عليه وسلم فى سبيل دعوته كثيراً ، وقاسى الصعاب ، ولم يؤمن به إلا نفر قليل : زوجه ، وبعض ذويه ، وقليل من أهله . وكان لا يفتر عن دعوتهم ، ويسخرون منه فيزداد نشاطاً وحيوية وراء أمله ، ويصورهم الله تعالى فى قوله :

« وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون »(١) ، « وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا ، أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون »(٢) .

إلا أن الباطل لا يقوى أمام الحق ، فسرعان ما يتقوض ، ويظهر ضعفه ، كما يتلاشى الظلام حين يكون وراءه النور الساطع .

ومضى الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام فى دعوته ، وصبر الصبر الجميل مضطهداً حيناً ، مستهزءاً به أحياناً ، ومع هذا كان يتمنى لقومه الهداية والرشاد ، فيطيب الله خاطره ، ويخفف عنه ، مبيناً أن هدايتهم بيده عز وجل ، فيقول :

« إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء ، وهو أعلم بالمهتدين »(٣) .

ويصور الله تعالى ضيقه صلى الله عليه وسلم فى سبيل هداية قومه ، فيقول :

« فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً »(٤) .

ويؤكد له أنه على حق ، ولابد للحق من أن ينتصر ، فيشحذ عزيمته بقوله عز وجل :

« فاستمسك بالذى أوحى إليك ، إنك على صراط مستقيم »(٥) .

---

(١) البقرة : ١٧٠ .
(٢) المائدة : ١٠٤ .
(٣) القصص : ٥٦ .
(٤) الكهف : ٦ .
(٥) الزخرف : ٤٣ .

وهـكذا بدأ الإسلام يستولى على القلوب فى مكة رويداً رويداً ، ثم انتشر بين بعض سكان يثرب (المدينة المنورة) ، وازداد إيذاء المشركين للمسلمين واضطروهم إلى هجر وطنهم فراراً بدينهم .

وفتحت المدينة المنورة صدرها رحباً للمسلمين ، وبدأت الدولة الإسلامية تنتظم أمورها برياسة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانتشر خبر الإسلام فى أطراف الجزيرة ، ولم تمنع أضاليل المشركين العرب من الدخول فى دين الله ، دين العدالة والمساواة ، عقيدة سهلة سامية ، إيمان بالله ، وطاعة لرسول الله ، وعبادات تدخل السعادة والطمأنينة إلى النفوس ، نظام يضبط الجماعة ويؤمن حقوق الأفراد . . . كل هذا جعل القبائل العربية تتهافت إلى المدينة من كل حدب وصوب ، يعلنون إسلامهم ، وعم الإسلام الجزيرة العربية بعد الفتح الأكبر ، ودخل الناس فى دين الله أفواجاً ، وانقلبت مكة والمدينة بل الجزيرة العربية إلى موطن إسلامى متماسك تنبع منه أشعة الهداية لتنير العالم .

وقد تم ذلك للرسول الكريم خلال اثنتين وعشرين سنة وبضعة أشهر .

وهكذا خرج العرب باعتناقهم هذا الدين الحنيف من نطاق القبيلة الضيق المغلق إلى صعيد الإنسانية الواسع ، ومن إطار الصحراء إلى العالم الشاسع ، وانقلبت رابطة الدم والقرابة إلى الأخوة فى الدين ، وانتهى نظام القبيلة وحل مكانه نظام الدولة الإسلامية فى مختلف مرافق الحياة ، وانتقلت حميتهم للقبيلة إلى نصرة الحق ، والأخذ بيد المظلوم وإنصافه ، وأصبح اعتزازهم بالإسلام وبما يقدمونه من تضحيات وخدمات فى سبيل ذلك بدلا من اعتزازهم بالأنساب ، واتجه حبهم للأمجاد والبطولات صعداً إلى تحقيق ما يرضى الله ورسوله ، وتحولت شجاعتهم وجرأتهم المحصورة فى النطاق القبلى إلى شجاعة وجرأة فى سبيل نشر الدين الجديد ، وتحول كرمهم الذى بلغ حد السرف إلى إعانة الفقراء وإغاثة الملهوفين ، وتزويد الجيوش للدفاع عن معتقداتهم وعن إخوانهم فى الدين ، وتحرير

الأمم من نير العبودية إلى الحرية وعبادة إله واحد . . . فكان الإسلام شرفاً عظيما لهم ، كما قال تعالى :

« وإنه لذكر لك ولقومك ، وسوف تسئلون »(١) .

والذكر هو الشرف العظيم ، وكان العرب بحق كما قال الله تعالى :

« كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله »(٢) .

يتبين لنا مما ذكرت أن هؤلاء العرب الأشداء ، الذين فرضت عليهم الطبيعة الصحراوية حياة خاصة ، قد انطوت نفوسهم على خصال طيبة ، وصفات كريمة ، وميول سامية ، وراءها دوافع قوية ، وحيوية فائقة ، ولكنه كان ينقصهم العقيدة الصالحة ، التى توجههم فى هذه الحياة ، وتؤثر فى جميع تصرفاتهم ، كما كان ينقصهم النظام الحسن ، فما أن وجدوهما فى الإسلام دين الحنيفية السمحة ، والفطرة الصافية ، حتى كانوا خير حافظ لها ، بعد أن آمنوا بها ، وتجاوبوا معها ، وأصبحوا أول داع إليها ، ومن ثم فتحوا قلوبهم للرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، وأصغوا إليه ، والتفوا حوله ينهلون من المعين الذى لا ينضب ، ويتلقون تعاليم الإسلام من رائده ، ليقوموا بدورهم فى هداية الناس جميعاً ، وهكذا تضافر العامل الفطرى الذى تميز به العرب مع العامل المكتسب الجديد (الروحى) ، فظهر الرعيل الأول الذى حمل مشعل النور والحق إلى العالم ، وساهم فى تحرير الإنسان من عبودية الظلم والجهل والفقر ، وأخذ بيده إلى سبيل السداد والرشاد ، ظهر ذلك الرعيل العظيم الذى نقل القرآن الكريم والسنة الطاهرة بكل أمانة وإخلاص .

بعد هذا نتكلم عن السنة وتعريفها ومكانتها من القرآن الكريم ، وعن الصحابة وعدالتهم بما يمهد لنا السبيل إلى البحث .

* * *

---

(١) الزخرف : ٤٤ .

(٢) آل عمران : ١١٠ .

حـــول السنة

السنة فى اللغة هى السيرة حسنة كانت أو قبيحة ، وكل من ابتدأ أمراً عمل به قوم بعده قيل هو الذى سنه . .

قال خالد بن عتبة الهـــذلى :

فلا تجزعن من سيرة أنت سرتها فأول راض سنة من يسيرها (١)

وفى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من سن فى الإسلام سنة حسنة فله أجرها ، وأجر من عمل بها بعده ، من غير أن ينقص من أجورهم شىء . ومن سن فى الإسلام سنة سيئة ، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده ، من غير أن ينقص من أوزارهم شىء » (٢) .

وإذا أطلقت السنة فى الشرع فإنما يراد بها ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونهى عنه ، وندب إليه قولا وفعلا ، ولهذا يقال فى أدلة الشرع الكتاب والسنة ، أى القرآن والحديث ، ويطلق علماء الحديث لفظ السنة على كل ما يتصل بالرسول صلى الله عليه وسلم من سيرة ، وخلق ، وشمائل ، وأخبار ، وأقوال ، وأفعال ، سواء أثبت ذلك حكماً شرعياً أم لا .

وأما علماء أصول الفقه فإنهم يطلقون لفظ السنة على أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأفعاله ، وتقريراته التى تثبت حكماً شرعياً .

وأما علماء الفقه فقد بحثوا عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، الذى تدل أفعاله على حكم شرعى ، وهم يبحثون عن حكم الشرع فى أفعال العباد وجوباً ، أو حرمة ، أو إباحة ، أو غير ذلك . فالسنة عندهم كل ما ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم ولم يكن من باب الفرض ولا الواجب .

---

(١) انظر لسان العرب ، مادة (سنن) .

(٢) أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه ، ص ٧٠٥ ، ج ٢ . وص ٢٠٥٩ ، ج ٤ .

فأوسع الإطلاقات إطلاق المحدثين ، الذين يقصدون بالسنة كل ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول ، أو فعل ، أو تقرير ، أو صفة خَلقية ، أو سيرة سواء أكان ذلك قبل البعثة كتحنثه فى غار حراء ، أم بعدها ، وسواء أثبت ذلك حكماً شرعياً أم لا .

والسنة بهذا المعنى مرادفة للحديث النبوى .

أما القول فهو أحاديثه التى قالها فى مختلف المناسبات ، كقوله : «إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى . . » ، وقوله : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » ، وقوله : « لا ضرر ولا ضرار » ، وقوله فى البحـــر : « هو الطهور ماؤه الحـــل ميتته » .

وأما الفعل فهو أفعاله التى نقلها إلينا الصحابة ، مثل وضوئه ، وأدائه الصلوات الخمس بهيئاتها وأركانها ، وأدائه صلى الله عليه وسلم مناسك الحج ، وما إلى ذلك .

وأما التقرير فكل ما أقره الرسول صلى الله عليه وسلم ، مما صدر عن بعض أصحابه من أقوال وأفعال ، بسكوت منه وعدم إنكار ، أو بموافقته وإظهار استحسانه وتأييده ، فيعتبر ما صدر عنهم بهذا الإقرار والموافقة عليه صادراً عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن ذلك ما أخرجه أبوداود والنسائى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه خرج رجلان فى سفر وليس معهما ماء ، فحضرت الصلاة ، فتيمما صعيداً طيباً ، فصليا ثم وجدا الماء فى الوقت ، فأعاد أحدهما الصلاة والوضوء ولم يعد الآخر ، ثم أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكرا ذلك له ، فقال للذى لم يعد : « أصبت السنة » وقال للآخر : « لك الأجر مرتين » .

وقد تطلق السنة فى مقابلة البدعة ، فيقال : « فلان على سنة » إذا عمل على وفق ما عمل عليه الرسول صلى الله عليه وسلم ، سواء أكان ذلك مما نص عليه الكتاب أم لم يكن . ويقال : « فلان على بدعة » إذا عمل على خلاف ذلك .

والبدعة لغة هى الأمر المستحدث ، ثم أطلقت فى الشرع على كل ما أحدثه

الناس من قول وعمل فى الدين وشعائره مما لم يؤثر عنه صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رَدٌّ » (١) .

وتطلق السنة أحياناً عند المحدثين وعلماء أصول الفقه على ما عمل به الصحابة ، وجد ذلك فى الكتاب أو السنة أو لم يوجد . ويحتج لذلك بقوله عليه الصلاة والسلام : « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء المهديين الراشدين ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ » (٢) .

ومن أبرز ما ثبت فى السنة بهذا المعنى « سنة الصحابة » حد الخمر ، فقد كان تعزير الشارب فى عهده صلى الله عليه وسلم غير محدود ، تارة يضربونه نحو أربعين جلدة ، وتارة يبلغون ثمانين ، وكذا فى عهد أبى بكر ، فلما كان آخر إمرة عمر رضى الله عنه ، ورأى الناس فى سعة من العيش ، وكاد الشرب يشيع بينهم — استشار الصحابة فى حد زاجر ، فقال على : نرى أن تجلدة ثمانين ، لأنه إذا شرب سكر ، وإذا سكر هذى ، وإذا هذى افترى ، وعلى المفترى جلد ثمانين ، وقال عبد الرحمن ابن عوف : أرى أن تجعلها كأخف الحدود يعنى ثمانين ، وأجمع الصحابة على هذا ، فتحديد الثمانين هو السنة التى عمل عليها الصحابة باجتهاد منهم ، حسبما اقتضاه النظر المصلحى .

ومن هذا تضمين الصناع ، وجمع المصاحف فى عهد أبى بكر برأى الفاروق ، وحمل الناس على القراءة بحرف واحد من الحروف السبعة ، وتدوين الدواوين . . وما أشبه ذلك مما اقتضاه النظر المصلحى الذى أقره الصحابة رضى الله عنهم وأجمعوا عليه (٣) .

---

(١) صحيح مسلم ، ص ١٣٤٣ ، ج ٣ .

(٢) أخرجه أبو داود فى حديث طويل عن العرباض بن سارية . انظر سنن أبى داود ، ص ٥٠٦ ، ج ٢ .

(٣) انظر الموافقات للشاطبى ، ص ٤ — ٦ ، ج ٤ . وانظر التمهيد من كتابنا « السنة قبل التدوين » .

وأعنى بالسنة ما أراده المحدثون ، وهى ما يرادف الحديث عند جمهورهم وإن كان بعضهم يفرق بين السنة والحديث ، فيرى الحديث ما ينقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، والسنة ما كان عليه العمل المأثور فى الصدر الأول .

والحديث القدسى هو كل حديث يضيف فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قولا إلى الله عز وجل ، كحديث أبى ذر الغفارى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال : « ياعبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا . .»(١) وحديث عبد الله بن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال : « إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بيّن ذلك ، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، وإن هَمَّ بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، وإن هَمَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، وإن هَمَّ بهافعملها كتبها الله سيئة واحدة » (٢) .

والأحاديث القدسية أكثر من مائة حديث ، وقد جمعها بعضهم فى جزء كبير (٣) . ونسبة الحديث إلى القدس (وهو الطهارة والتنزيه) ، وإلى الإله أو الرب ، لأنه صادر عن الله تبارك وتعالى ، المتكلم به أولا ،

---

(١) الحديث الرابع والعشرون من الأربعين النووية ، وقد أخرجه الإمام مسلم . انظر صحيح مسلم ، ص ١٩٩٥ ، ج ٤ .

(٢) رواه البخارى ومسلم . انظر صحيح مسلم ص ١١٨ ، ج ١ . وانظر الأربعين النووية ، الحديث (٣٧) .

(٣) جمع الشيخ محيى الدين محمد بن على بن العربى الطائى ، المتوفى سنة (٦٣٨ هـ) ، فى كتابه (مشكاة الأنوار) (١٠١) حديث عن الله عز وجل . كما جمع العلامة على بن سلطان الهروى القارى ، المتوفى سنة (١٠١٦هـ) . أربعين حديثاً قدسياً فى كتابه (الأحاديث القدسية الأربعينية) . وطبع الشيخ محمد راغب الطباخ الحلبى . هذين الكتابين فى مجلد واحد ، سنة (١٣٤٣هـ - ١٩٢٧م) .